رواية (يا مريم) قراءة تفكيكية

اوراس سلمان كعيد السلامي
جامعة القاسم الخضراء/كلية الموارد المائية
Drusalmn2016@gmial.com

الخلاصة

جاءت الدراسة بعنوان : رواية (يا مريم) قراءة تفكيكية والتي تتمثل في مقدمة وتمهيد ومبحث اول ومبحث ثانٍ وخاتمة ومصادر ومراجع اما التمهيد كان بعنوان مفهوم التفكيك مدخل تعريفي، التفكيك في اللغة والاصطلاح، ومفهوم التفكيك عند دريدا وجذور التفكيك فلسفياً اما المبحث الاول اولاً: ملامح التفكيك في النص الروائي، ثانياً: النص المفتوح قراءة تفكيكية، اما البحث الثاني اولاً: استراتيجية التفكيك في النص الروائي، ثانياً: ماهية التفكيك في النص الروائي، من ثم خاتمة البحث، وقائمة بالمصادر والمراجع وملخص باللغة العربية والانجليزية .

الكلمات المفتاحية:التفكيك، التفكيك فلسفياً، ملامح التفكيك،النص المفتوح، استراتيجية التفكيك، النص الروائي، ماهية التفكيك.

Abstract

The study is entitled: The novel of O Mary, a read the deconstruction, which is in the introduction and the preface and the first and second research and conclusion and sources and references either a preliminary was entitled the concept of dismantling the introduction of the definition, disassembly in the language and terminology, and the concept of disassembly of the roots of Dreda and the roots of disassembly Philosophically first section: The second is: the strategy of deconstruction in the narrative text; secondly: what is the disassembly of the narrative text, then the conclusion of the research, a list of sources and references and a summary in Arabic and English.

Keywords: Dismantling, philosophically deconstructing, deconstructing features, open text, dismantling strategy, narrative text, what is dismantling.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد مصباح الحق وهادي الخلق سيد المرسلين وخاتم النبيين الرسول الاعظم صلى الله عليه وعلى اله الطيبين الطاهرين وصحبه اجمعين وبعد

لا يمكن تقديم قراءات نقدية جادة حول الرواية المعاصرة بعيداً عن إبراز تأثير الاتجاهات الفلسفية المختلفة فيها، بل واستعمال مناهج النقد الفلسفي للأدب بشكل موسع ليشمل كل الإبداعات الحقيقية في الأدب العربي الحديث والمعاصر، فالروائي في البداية والنهاية فيلسوف يقدم رؤيته الفلسفية الخاصة على شكل حكاية سردية تعكس تصوره لفكرة سياسية أو اجتماعية أو ثقافية، فتأتي الرواية محملة بنزعاته الفكرية واتجاهاته الثقافية وتجسيدا لهما، فهناك اقتران واضح بين الفلسفة والأدب على مدار تاريخ الأدب العربي، قديمه وحديثه على السواء.

وتعد رواية (يا مريم)[1] للروائي سنان انطون والتي صدرت في ٢٠١٢، واحدة من الروايات التي جسدت النزعة التفكيكية بامتياز في الرواية العربية بصفة عامة والعراقية على وجه الخصوص، حيث تفكيك القضية والوقوف على تمفصلاتها الأساسية، وجزئياتها الرئيسة، بل وإعادة النظر إليها من زوايا متعددة، والانتقال من

(١) سنان انطون : يا مريم رواية، منشورات الجمل، بيروت ، لبنان، ٢٠١٢ .

المركز إلى الأطراف، ومن الأطراف إلى المركز، وإعادة التأويل لكل الأحداث، وليس ذلك كله سوى مبادئ الفلسفة التفكيكية.

ويقوم التفكيك عند الروائي في مجال الرواية كما هو عند الناقد على السواء، على آليات الهدم والبناء من خلال القراءة، فالروائي يقوم بهدم عالمه القصصي وإعادة بنائه مرة أخرى، ولكن من طريق هدم الكل من أجل بناء وحدته السردية، وتسليط الضوء فقط على النقطة المركزية التي يعدها بؤرة الأحداث، وهذه النقطة تكون في الغالب نقطة هامشية ثانوية ولكن الروائي التفكيكي يجعل منها مركز الأحداث فيعيد قراءة عالمه السردي انطلاقا منها، فهو لا ينقد المركز بل ينقد التمركز المطلق لفكرة معينة، وهكذا الحال أيضاً عند الناقد التفكيكي الذي يفكك النص ويعيد بناءه على وفق آليات تفكيره.

التفكيكية في اللغة والاصطلاح:

التفكيك: (Dissociation) :عرفه ابن منظور بقوله: التفكيك:- ((يقال فككت الشيء فانفك بمنزلة الكتاب المختوم تفك خاتمه كما تفك الحنكين تفصل بينهما)) . وفككت الشيء : خلصته .

وكل مشتبكين فصلتهما فقد فككتهما، وكذلك التفكيك. قال ابن سيده: فك الشيء يفكه فكا فانفك فصله. وفكاك الرهن وفكاكه ، بالكسر : مافك به، وفك الرقبة : تخليصها من إسار الرق، وفك الرهن وفكاكه بالفتح، وفكاكه بالكسر : تخليصه من غلق الرهن(١) .

أما صليبا فقد عرفه فلسفياً:التفكيك (Dissociation) عند علماء النفس هو انفصال العناصر الذهنية بعضها عن بعض. فالعنصر المرتبط بأحد الأشياء مرة ، وبغيرهِ مرة أخرى يميل إلى الانفصال عن كل منهما، حتى يصبح عنصراً مجرداً ،كما في التجريد ، فأن التجريد ناشئ عن تفكيك الصور الذهنية المترابطة، ويمكن تسمية ذلك بقانون التفكيك وهو يرجع انفصال الصور الذهنية بعضها عن بعض إلى التغيرات النسبية.(٢)

ويعرف عبد الله إبراهيم مصطلح التفكيك: بانه يدل على التهديم والتخريب وهي دلالات تَقترن عادةً بالأشياء المادية والمرئية وفي مستواها الدلالي العميق يدل على تفكيك الخطابات والنظم الفكرية وإعادة النظر فيها بحسب عناصرها والاستغراق فيها وصولاً إلى الإلمام بالبؤر الأساسية المغمورة فيها. (٣) ولا يقصد الهدم بقصد الهدم والتخريب وإنما التفكيك هنا على العكس من التقويض*

وقد عرفه علوش:بأن التفكيك عند دريدا يقوم على تحليل سيميولوجي التكوين إيديولوجي موروث، وهو تجزؤ لعناصر النص إلى وحداته الصغرى والكبرى . وعملية فهم لتركيب العمل الفني والأدبي . (٤)

كما عرفه عناني:بأن التفكيك هو احد أهم عنصر من عناصر مابعد البنيوية ، وان هذه الستراتيجية التي أرساها (دريدا) ذات فائدة مثل: اعتبار كل قراءة للنص بمثابة تفسير جديد لهُ . واستحالة الوصول إلى معنى نهائي وكامل لأي نصّ . والتحرر من اعتبار النصّ كائناً مغلقاً ومستقلاً بعالمه (٥).

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، المجلد العاشر، دار صادر، بيروت، ب.ت :٤٧٠ .

(٢) جميل صليبا: المعجم الفلسفي ، ج١ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان : ١٩٨٢ :٣١٦ .

(٣)عبد الله إبراهيم: التفكيك الأصول والمقولات، ط١ ، الناشر عيون المقالات ، مطبعة النجاح الجديدة ، باندوغ ، الدار البيضاء :١٩٩٠: ٤٥-٤٦ .

* التقويض (Deconstruction) التقويض لايقبل مثل مايذهب إليه أهل (التفكيك) في مقولة البناء بعد التفكيك. لأن مفهوم التقويض ينطوي على اهمار البناء ، لذا فأن إعادة البناء تتناق مع مفهوم دريدا للتقويض .(ينظر الرويلي والبازغي ، دليل الناقد الأدبي ، ط٣ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب : ٢٠٠٢ :١٠٧-١٠٨).

(٤) سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، ط١، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان،١٩٨٥: ١٦٩.

(٥) محمد عناني: معجم المصطلحات الأدبية الحديثة ، ط١ ، مكتبة لبنان ، الشركة المصرية العالمية

التفكيك حسب رؤية دريدا :-

-هو إستحداث مجموعة مفاهيم لقضية الهوية والاختلاف من حيث علاقة كل منهما بالآخر عبر تحليل النصوصّ .(١)

- هو اعتماد الاختلاف كمصدر متعالٍ لا يخضع لشروط سابقة ولايمكن الذهاب أبعد منهُ ، لذلك فهو أصل دون مركز يعود إليه .(٢)

التفكيك في النص الادبي :هو إظهار الاختلاف داخل بِنية النصّ الادبي بإرجاعها إلى عناصرها ووحداتها المؤسسة لها لمعرفة بِنيتها ولمراقبة وظيفتها وما يؤشرهُ ذلك من تَعدد وتَشتت بإزاحة مركزية الثنائيات المتافيزيقية .

مفهوم التفكيك: ما يزال مصطلح التفكيك مثاراً للالتباس: بسبب مدلولاته السَلبية التي فهمت على نطاق واسع بمعناه الذي يراد به الهدم والتقويض أو التدمير، إذ ان كلمة (التفكيك) تدل مباشرة على السلب والهدم من حيث منطوقها وهذا ماجعل خصوم التفكيك يظنون انه مجرد تحطيم لبنى شاخصة ومحوُ لأعمال مشيدة وأبنية فكرية أَثبتت صلاحيتها عبر الزمن . غير أن التفكيك لايتعامل بروح الهدم والنَقض باستمرار.

إن التفكيك بمعنى ما يقوم على رفض المذاهب السابقة ويخطئ كل المشاريع ، بل انه في جوهره يقوم على رفض التقاليد التي يرى أنها تحجب المعنى وتكبتهُ ومن ثم فهو يحاول إحلال مشروع نقدي بديل محل المذاهب النقدية السابقة .(٣)

بمعنى انه يعمل على تفكيك نصوصّ لكي يَنتج أخرى وكل نَتاج فكري هو في الأَصل توليد وتركيب بقدر ماهو صناعة وتحويل (٤).

من هذه الزاوية يبدو التفكيك مناقضاً لما يظنهُ معارضوه . أي انه ليس هدماً ومحواً ، بقدر ماهو خلق وتشكيل، انه فاعلية نقدية خصبة تُتيح فهم ما كان تَمنعِ فهمهُ ، مما هو غير متوقع أو غير معقول ، ويتيح فعل ما لم يكن بالمستطاع فعلهُ عما هو متعذر وممنوع .(٥)

إن فاعلية التفكيك لاتجري في عقل مجرد عن أرضه وجسده أو في سماء فكرية متعالية عن التجربة ، وإنما هي خبرة وجودية تتعامل مع منطق الحدث وتُمارس على أرض الحقيقة ، إنها عبارة عن مغامرات وفتوحات يقحم بها الفكر أصقاعاً جديدة لإنتاج المفاهيم وتطعيم الأفكار.(٦) التفكيك إذاً يتعامل مع النصوصّ بوصفها إمكانات غير مستنفدة تظل منبعاً دائما للاستثمار.(٧)

إن استراتيجية التفكيك تقوم أساساً على مبدأ مفاده استحالة الفَصل بين النصّ والتاريخ الثقافي، الذي يمثل حضوراً مستمراً وقوياً داخل النصّ، وبين النصّ وأُفق توقعات القارئ . بهذا المعنى لايكون التفكيك حركة

للنشر ، لونجمان : ١٩٩٦ ، : ١٥ .

(١) عادل عبد الله: التفكيكية إرادة الاختلاف وسلطة العقل ، ط١ ، دار الحصاد للنشر والتوزيع والطباعة ، سورية ، دمشق : ٢٠٠٠ : ٦٦ .

(٢) م . ن : ١٢٦ .

(٣) ينظر: عبد العزيز حمودة: المرآيا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ، الكويت ، ١٩٩٨ :٦٥ .

(٤) ينظر: علي حرب: الماهية والعلاقة نحو منطق تحويلي ، ط١، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ١٩٩٨ :٦٣ .

(٥) ينظر: علي حرب: الماهية والعلاقة نحو منطق تحويلي، المصدر السابق :٦٧ .

(٦) ينظر: رضوان جودت زيادة: صدى الحداثة ومابعد الحداثة في زمنها القادم ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠٠٣ : ٦٠ .

(٧) ينظر: عبد العزيز حمودة: المرآيا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، المصدر السابق: ٣٠٠ .

منقطعة عن تاريخ الفكر الإنساني ، فهو في حقيقة الأمر لايخلو من امتداد جذور فكرية متأصلة في الفكر الغربي منذُ المحاولات الأولى للفلسفة الإغريقية وحتى الفلسفة الحديثة والمعاصرة .

لقد أدى الدمار الذي لحق بأوربا والعالم جراء الحرب العالمية الثانية إلى الإحساس بالخوف من نتائج التكنولوجيا الحديثة والاكتشافات العلمية التي فشلت في تحقيق السعادة للإنسان والمعرفة اليقينية . فعاد عصر الشك بقوة حيث كان رد الفعل النقدي البنيوي يكمن في العودة الكاملة إلى الذات والارتماء في أحضانها بلا قيود ولكن هذه العودة إلى الذات لم تمنح الإنسان الثقة بقدرة الذات أو العقل على تحقيق المعرفة اليقينية . وبما أن المعرفة بحد ذاتها كيان متغير ودائم التحول لأنَ العالم الخارجي في صيرورة مستمرة فأن تحقيق المعرفة بهذا العالم المتحول والمتغير يفترض فلسفيا وجود مركز ثابت ويرى دريدا أن له مسميات مختلفة عبر تاريخ المعرفة الإنسانية مثل (مركز الوجود ، الجوهر ، الحقيقة ، الله ، الإنسان ، الوعي ، الذات) وهي تسميات تشير بحسب دريدا إلى مدلولات عليا تمنح الإنسان إحساساً بوجود أرضية ثابتة ترتكز عليها متغيرات العالم الخارجي الذي يمدنا بالمعرفة .[١]

إن دريدا يشرح ممارسة التفكيك من طريق الأمثلة والحالات وليس من طريق نظرية أو بحث فهو يرى" أن التفكيك ليس نظرية أو منهجاً وليس مذهباً هيرمنوطيقياً بالقطع بل يمكن تسميته مؤقتاً إستراتيجية للنصّ وحتى تكون أكثر دقة انه ممارسة وليس نظرية " [٢].

مفهوم التفكيك عند دريدا:يؤمن (دريدا ١٩٣٠- ٢٠٠٤) بأن الأثر في الفكر الميتافيزيقي ثانوي ومشتق عن الأصل ومضاد له أي مضاد لمفهوم الحضور الكامل ، لذا فأن الاختلاف هو إخلاف في هوية الحضور الكامل، وهذه العلاقة الضدية التي تميز الحضور عن الأثر هي مايسميها دريدا (الأثر الأصل) أي الأثر الذي يكون الأثر الميتافيزيقي مجرد أثر لهُ وناتج عنهُ فهو مستقر في ذاتية الامتياز الذي يتجلى به الحضور.[٣]

ويرى دريدا أن المعنى قائم قبل أن يتمتع بالصياغة اللغوية أما اللغة فلا تفعل سوى أن تدفع هذا المعنى إلى النور، تترجمه بعد أن تنتزعه من كيانهِ .[٤]

وينكر دريدا قدرتنا باللفظ على إحالتنا إلى شيء ما خارجه أي إن اللغة لايمكن أن تصبح أبداً نافذة شفافة على العالم كما هو في حقيقتهِ، فاللغة كما يقول دريدا هي عملية إطلاق أسماء على الأشياء بحيث ينفرد كل دال بمدلولهِ لكن لايمكن أن تبرز دلالة الكلمة إلا من خلال علاقتها بالكلمات الأخرى في اللغة.[٥]

لقد تأسست إستراتيجية التفكيك عند دريدا على رفض الميتافيزيقيا الغربية التي هي في نظر دريدا أيديولوجيا المجموعة العرقية الغربية ، قصد تقويض التصور الذهني الذي أرستهُ الفلسفة الغربية والقائم على تكريس المقابلات الثنائية مثل (الكلام / الكتابة،الحضور/ الغياب ، الواقع /الحلم ، الخير /الشر وغيرها) ومن ثم اجتراح مفاهيم تورية جديدة مثل الاختلاف الذي يعني المغايرة والتأجيل ونقض التمركز حول العقل[٦].

---

(١) ينظر: عبد العزيز حمودة: المرآيا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، المصدر السابق: ٣٠٠ .

(٢) م . ن : ٣٠٩ .

(٣) ينظر: ميجان الرويلي وسعد البازغي: دليل الناقد الأدبي، المصدر السابق: ١١٣.

(٤) ينظر: أمينة غصن: جاك دريدا في العقل والكتابة والختان ، ط١ ، دار المدى للثقافة والنشر ، سورية ، دمشق ، ٢٠٠٢ :١٨

(٥) ينظر: محمد عناني: معجم المصطلحات الأدبية الحديثة، المصدر السابق :١٣٣-١٣٤ .

(٦) ينظر: بسام قطوس : المداخل الى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ، ٢٠٠٦ : ١٤٤-١٤٥ .

ويهدف دريدا في تفكيك الفلسفة وتفكيك تطلعاتها إلى إدراك (الحضور) و(المنطق) عن طريق إثبات أن عمل اللغة نفسهُ يحول دون الوصول إلى تلك الغاية .[١]

يقدم الفيلسوف الفرنسي المعاصر جاك دريدا مشروعهُ المعروف باسم التفكيك . والتفكيكية أكثر مشاريع الحداثة ومابعد الحداثة ارتباطاً بالمزاج الثقافي الغربي عامة والمزاج الثقافي الأمريكي خاصة وهي نزعة تستوحي أعمال الفيلسوفين نيتشه – وهيدجر خصوصاً محاولتهما تجاوز الميتافيزيقيا من خلال العمل على هدمها ، وقد طور دريدا مفهوم الهدم ، بأن جعلهُ مصطلحاً فلسفياً أطلقَ عليه اسم (التفكيك) وعَمدَ إلى تطبيقه على مختلف نتاجات الثقافة الغربية من نصوص فلسفية وأدبية ومسرحية وشعرية وفنون تشكيلية وحتى بطاقات البريد.[٢]

فهي القراءة العميقة التي تستوعب القصد، كله، ظاهره، وباطنه، محكمة ومتشابكة ما يعنيه الخطاب وما يمكن ان يعنيه أيضاً إما المرحلة الثانية فهي مرحلة التأويل أنها المرحلة التي تعمل على قلب مراتبيه النص والكشف عن عجزه وتناقضه ثم فرض نظام من البدائل عليه بعد استنطاقه وقراءته من خلال تناقضاته الداخلية ومن خلال هذه القراءة وحدها يبدأ النص تفكيك نفسه بنفسه[٣].

ومن أسبقية المعنى تتحدد أسبقية القصد والوعي لكن دريدا يؤكد أسبقية الكتابة على اللفظ ، والكتابة هنا ليست بمفهومها المألوف الذي يعني مجرد تصوير وتمثيل الأصوات المنطوقة إنما هي مرادف للاختلاف، من ثم فإن اللغة مثل المعرفة والفهم تتأسس أولاً وأخيراً على الاختلاف وليست على شيء خارج علاقة الألفاظ ببعضها في نظام نحوي.[٤]

وان الاختلاف لدى جاك دريدا هو الاصل السابق لكل أصل يتصف بالضرورة والشمول ، وهما الشرطان اللازمان لكل فكرة موضوعية لإخراجها عن الفهم الذاتي المستند إلى الأحاسيس المفتقرة بطبيعتها إلى الاستقرار والثبات فلا شيء يسبقهُ ولا شيء يهرب منهُ، [٥]

لذا فأن الاختلاف هو جوهر اللغة واللغة بطبيعتها تَتكون من الاختلافات فقط لذا فالاختلاف يشجع تعددية (الاختلاف) لا قمعها ومحاصرتها.[٦]

إذا كانت التفكيكية بمعناها العام تهدف إلى الفصل بين اللغة وحضور الشيء فإنها تهدف من ذلك إلى إيجاد شرخ بين مايصرح به النصّ وما يخفيه وهدف التفكيك إلى إدراك حضور الشيء لايمكن تحقيقهُ ، لأَنَ عمل اللغة نفسهُ يحول دون الوصول إلى تلك الغاية حيث يرى دريدا أن المعنى يتولد من خلال اختلاف دال مع دال آخر فكل دال متميز عن الدوال الأخرى ومع ذلك فهناك ترابط وإتصال بينهما وكل دال يتحدد معناهُ داخل شبكة علاقات مع الدوال الأخرى .

التفكيكية وجذورها الفلسفية:إن الاهتمام بالفكر الفلسفي ومراحل تطوره وإبراز كشوفاته، والتي جعلت (دريدا) ينهل من روافده الأساسية لفلسفة التفكيك، إلى جانب الكشوفات اللسانية والبنيوية، فإن ما يؤكد عليه

---

(١) ينظر: محمد عناني: معجم المصطلحات الأدبية الحديثة، المصدر السابق :١٣٦ .

(٢) ينظر: عبد العزيز حمودة : المرآيا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك ، مصدر سابق :٧٣-٧٤ .

(٣) ينظر: عادل عبد الله ، التفكيكية ، مصدر سابق : ٦٤ .

(٤) ينظر: ميجان الرويلي وسعد البازغي : دليل الناقد الأدبي ، المصدر سابق :١٥٩ .

(٥) ينظر: عبد الله ، عادل ، التفكيكية إرادة الاختلاف وسلطة العقل ، ط١ ، مصدر سابق ، ص١٢٩ .

(٦) ينظر: ميجان الرويلي وسعد البازغي : دليل الناقد الأدبي ، المصدر سابق :١٥٩ .

التفكيك هو أن الخطاب ينتج باستمرار، ولا يتوقف بموت كاتبه، لذا فإنه يضع الكتابة بوصفها خطاباً ينطوي على صيرورة البقاء بغياب المنتج الاول، في حين يتعذّر ذلك بالنسبة للكلام(١) .

لذا يُعد ديكارت من الفلاسفة الذين أحدثوا انقلاباً في عالم الفكر من خلال منهجه الذي فكك فيه العقل وطبيعته، باعتبار ان العقل منعزل في نفسه، وهو بذلك خالف القدماء الذين كانوا يعتقدون أن العقل يدرك الوجود، لذا فهو يشك في الحواس، لأنها مصدر خداع في بعض الاحيان، فليس من الحكمة الاطمئنان إلى من يخدعنا ولو مرة واحدة، لذا فهو يشك في استدلال العقل، ويشك في كل شي، فلما كان الشك تفكيراً، إذن فالتفكير وجود، ومن هنا أطلق مقولته (أنا أفكر فأنا موجود)(٢) .

وتكمن أهمية نظرية كانط بتفكيكه لمنظومة العقل وتقسيماته الثلاث، وهي العقل المحض، والعقل النظري، وملكة الشعور، وهذه العقول تسيّرها ملكة النفس، ملكة المعرفة، وهي الذهن، وارتباط هذا بقانون العلّة والمعلول، وملكة الرغبة، وهي العقل، وملكة الشعور هي الحكم(٣). ويعتقد كانط أن الذهن له القدرة على إعادة بناء القوانين الكلية التي تسود الطبيعة، وذلك يعود إلى قدرة الفن على تمثيل عمليات الطبيعة، مثل هذه القوانين موجودة، إلاّ أن ملكة الذهن غير قادرة على معرفتها، وإن شعرت بها، لذلك يقول (كانط) نحن لدينا معرفة بسيطة عن الكائنات الحية، ولكننا غير قادرين على الارتقاء إلى إدراك قوانينها الكلية (٤).

فإن الاصول في فلسفة هيغل تمارس حضورها عند (دريدا)، والتي يستمد منها بنية المعرفية، وبعبارة أخرى، الهوية والاختلاف يمثلان جوهر المشروع التفكيكي، والتي هي أساسها الفلسفي المغاير، والتي تعمل على تثبته عبر تحليلها للنصوص، وذلك من خلال قراءتها الجديدة لعلاقة الهوية بالاختلاف، والتي يمكن ترحيلها والتعرف عليها في ميادين معرفية سابقة، يطبق فيها فعل التفكيك ومنهجيته، لذلك فإن مفهوم الهوية في الجدل الهيغلي لكل موجود جانبان: جانب مباشر حاضر يسمى الظاهر، والآخر غير مباشر وغائب، إنه ذلك الشيء الذي ليس هنا، والذي يطلق عليه المصدر السلبي، وهو يسمى الماهيّة، أي إن هناك ماهوي في الوجود، وما هو غير ماهوي، وهذا يعني أن الاختلاف هو السالب، والهوية هي الموجب، وهي علاقة الذات بالذات، وهي بها تثبت نفسها. أما الاختلاف فهو تمايز الذات عن نفسها، والتي تحدث في نطاق علاقة الذات بالذات، وهي بذلك نفي الذات للذات، أي إنها سالبة يتلاشى فيها الموجب والسالب، وهذة العلاقة الجدلية لمفهوم الهوية والاختلاف تُعد الاساس في فلسفة هيغل الجدلية(٥).

في حين أن الاختلاف الذي يمثل حجر الزاوية في فلسفة التفكيك، والذي يؤسس عليه دريدا مشروعه التفكيكي لنقد فلسفة التمركز، فهو في مفهومه يعني ليس هناك أصل محض، وأن الأصل يبدأ بالتلوث أو الابتعاد عن مقامه الأصلي لمجرد أن يتشكل كأصل، فيجد نفسه مجبراً على أن يمهد لمسار تأتي فيه الآثار لتعيد له أصليته، الأصل هو طريق الأثر، وهذا ما يفسره أو يطلق عليه دريدا الآخر (الإرجاء الأصلي)، الأصل يحيل إلى لاحقة دائماً، الهوية إلى آخرها، والذي يؤسسها كهوية، وبهذا يصبح الاختلاف في حقيقته إحالة إلى الآخر، وإرجاء لتحقيق الهوية في انغلاقها(٦) .

---

(١) ينظر: عبدالله ابراهيم، التفكيك الاصول والمقولات، المصدر السابق: ٣٩-٤٧.

(٢) ينظر: يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار القلم، بيروت، ب ت: ٦٦.

(٣) ينظر: مصطفى عبده: مدخل إلى فلسفة الجمال، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٩٩: ٦٥.

(٤) ينظر: برتران سان- سرنان: العقل في القرن العشرين، تر: فاطمة الجيوشي ، وزارة الثقافة، دمشق، ، ٢٠٠٠: ١٥.

(٥) ينظر: عادل عبد الله، إرادة الاختلاف وسلطة العقل، المصدر السابق: ٦٨-٧٢.

(٦) ينظر: جاك دريدا: الكتابة والاختلاف، تر: كاظم جهاد، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٨٨: ٣١.

فهو ليس لفظة ولا مفهوماً، إنه قوة كلية الحضور، قوة التميّز الأولى الفاعلة التي تتغلغل في كل وجود ومفهوم، والتي هي فعل سلبي، لأنها تتجلى في الأساس في عملية تمزيق الأشياء وتقسيمها بصمت، فلا شيء يسبقه، ولا شيء يهرب منه(١).

ومن هذا المنطلق يرى الباحث أن المقاربة بين هجيل ودريدا في مفهوم الاختلاف الذي يراه هجيل متجسداً في صراع المتناقضات وحلها، في حين يعمل مفهوم الاختلاف عند دريدا على تمزيق الأشياء وبعثرتها، وهو قوة مهيمنة ومتغلغلة في ثنايا الوجود، أي إن مفهوم الوجود يعني الاختلاف، وهو سر من أسراره .

من المساهمات التي غذّت المشروع التفكيكي بصورة مباشرة، و يمثل نيتشه أحد أعمدتها، والتي أسهمت في بناء التصور التفكيكي الذي استقى منه (دريدا) كثيراً من المفاهيم هو (فريدريك نيتشه ١٨٨٤-١٩٠٠) المعروف بأحد اقطاب الفلسفة العدمية الحديثة، والذي أمسك بمعول الهدم لتدمير النظام الذي شيّده هغيل، وأعلن موت الدياليكتيك، والمعرفة المطلقة، وموت الإله، لأن الله في المفهوم النيشتوي هو اختراع، أو حيلة شيطانية، إن الالتباس هو الذي يحكم عالمنا (٢). وبهذا فإن اطروحات نيتشه التي طوحت بالميتافيزيقا، والتي لايراها في القيم الدينية، وإنما في مرتكزات التنوير والحداثة، فالعقل والذات الموضوعية، والفكر العلمي، وجميع الضمانات لتعقيل العالم وقبوله. ومن الواضح أن فلسفة نيتشه اتجهت للإطاحة بمنجزات العقل، والسير فيه نحو التفكير العدمي الذي في ظله يفقد الدال مدلوله، وليس في ظله وجود حقيقة أو أصل أو بنية، فجميع الأشياء والحقائق والماهيّات ما هي إلاّ نواتج لتاؤلات الفلاسفة للوجود، والتي ليس لها حدود، إننا نتيه في عالم مفكك، لا تناسق فيه ولا انسجام، وبهذه الطروحات عمل (نيتشه) على تفكيك الحداثة، وأزالة كل أساس عن مفهوم الحقيقة(٣) .

لهذا فإن فلسفة نيتشه العدمية تأخذ شكل التقويض، والتي أطلق عليها ديريدا التفكيك، والعمل على كشف التناقضات الميتافيزيقية، في الفكر الغربي، من مفهومها أن الحضارة الغربية تعّبر كما تعبّر عنها الفلسفة في العلوم الإنسانية، ما فتأت تخون نموها التاريخي نحو العلمانية التي تمثل الواقع العقلي للإنسان الغربي، ومهمة التفكيك هي البحث عن الكيفية التي يعبّر بها، واكتشاف الأبعاد الميتافيزيقية أو الوهمية التي تشكّل أساسيات الفكر الغربي.

فإن هيدجر يُعدّ النبع الأساسي لتغذية المنهج التفكيكي، والذي ترك بصمات واضحة في فلسفة دريدا، فإن اتفاق دريدا مع مقولات هيدجر على أن الفلسفة الغربية قد ركّزت مقولاتها على ثنائية الوجود واللاوجود، والتي تأخذ عند دريدا شكل (الحضور والغياب)، أي إن الوجود لا يظهر إلاّ من خلال غيابه، وأن المقاربة بين هيدجر ودريدا هي أنهما نظرا إلى أن النص متحرك، وليس سكونيا، وأنه يتمظهر من خلال التاؤيل الذي يعد ظاهرة لغوية تتحكم في فهم النص، في حين أن النص لدى دريدا متعدد القراءت، والتناص يلعب دورا في النقد التفكيكي، وأنه من المحال أن نصل إلى الحقيقة من خلال اللغة، وأن القلق هو الغواية أو المزاج المهيمن على الوجود والكينونية البشرية، والتي لا تتحدد بعقلانية الإنسان بل بأمزجته التي تفرض حضورها على الكائن، مثل الفرح- الإثارة- الملل، وفوق كل شي القلق الذي لا يعني الموت، بل هو حالة عامة أكثر إرباكاً

---

(١) ينظر: عادل عبد الله، إرادة الاختلاف وسلطة العقل، المصدر السابق: ٧٣.

(٢) ينظر: أمنية غصن: جاك دريدا، في العقل والكتابة والختان، دار المدى، دمشق ، ٢٠٠٢: ٤٣.

(٣) ينظر: باسم على خريسان: ما بعد الحداثة دارسة المشروع الثقافي، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٦: ١٤٩.

من الموت، وهو المأزق الذي نعيش فيه، ومن خلاله يتحدد الشرط اللازم للحرية، إذ لا يدرك الإنسان حرية وجوده، إلاّ عندما يدفعه القلق لمواجهة واقع فنائه، والسبب يعود إلى أن حريتنا محجوبة عنّا، ذلك لأن المجتمع هو الذي يفرض علينا سلوكاً كي يشتت ذهننا الذي يحجب عنا حقيقة وجودنا وفناءنا المحتوم(١).

ويرى الباحث أن فلسفة هيدجر التدميرية للنسق الإغريقى الفلسفي الذي يهيمن عليه طابع التمركز حول العقل، لذاك فهو يعمل على ضرب التمركز ليؤسس إلى الاختلاف كجذر أنطولوجي يحمل في داخله سمة الحضور المتّشح بالغياب.

المبحث الاول

اولاً: ملامح التفكيك في النص الروائي:من خلال هذا المبحث نقوم بتقديم خلاصة استطلاعية لتقصي ملامح فعل التفكيك في النص الروائي، حيث يتم فيه التوقف عند أهم المحطات في الرواية مع الأخذ بعين الحسبان اهم الاحداث التي جسدها النص الروائي .

رواية "يا مريم" صرخة مدوية كتبت باللهجة العربية الموصلية المحببة للنفس والتي يتحدث بها عموماً مسيحيو الموصل في ما بينهم بشكل خاص مثل (عمو، شقد تحبك، اوف يربي، شوقت تأخذني، ييزي ييزي عاد خلص، القبة، السنكره، ...)، وقد أعطت الكلمات العامية وقعاً مؤثراً وقريباً من مشاعر وأحاسيس الإنسان، لهجة تلمس الجروح العميقة مباشرة وليس في مقدور اللغة الفصحى التعبير عنها والولوج بها إلى عقل وقلب الإنسان بالقوة والانسيابية العالية ذاتها. لقد أحسن سنان أنطون في استعماله اللهجة العامية الموصلية للتعبير عن الكارثة التي يعاني منها المسيحيون والمسيحيات بالعراق وأعطاها الوقع والدفع، وكذلك التأثير المنشود لأحداث الرواية الكارثية .

من خلال ملامح التفكيك في النص، نجد ان الكاتب الروائي سعى في صياغة نصوصه إلى تحقيق حالة من التوازن بين هموم القضايا الاجتماعية وهموم الواقع السياسي المضطرب وبين الشروط الإبداعية للنص الدرامي، هذا مما جعله في تماس مباشر مع الواقع، فقد عبرت نصوصه في هذه المرحلة عن رصدها للظلم السياسي والاجتماعي من طريق أساليب كتابيه انتمت في تصنيفها إلى الواقعية النقدية .

ثانياً: النص المفتوح (قراءة تفكيكية):النص المفتوح هو النص الذي يجعل قارئه ينفتح على آفاق مختلفة من الثقافات والذكريات والمعلومات، والقارئ هو الذي يفتح مغاليق النص الروائي، ويسهم في سبر كوامنه، ويفصح عنه، ويظهر مكبوته. ذلك أن القارئ في المناهج النقدية الحداثية، أصبح يشارك المؤلف في كتابة النص، بما يستنبطه منه، وبما يضيفه إليه.

وليست التفكيكية هي وحدها التي تقول بالنص المفتوح، وإنما تقول بذلك أيضاً المناهج السياقية في النقد الأدبي كالمنهج التاريخي المفتوح على سياقه، والمنهج الاجتماعي المفتوح على الحياة الاجتماعية، والمنهج الأسطوري المفتوح على الميثولوجيا، والمنهج العلمي المفتوح على المنجزات العلمية في الوراثة والبيئة والجنس (العرق)... الخ فهذه كلها تجعل النص مفتوحاً على الآفاق التي تخصّ كل منهج منها(٢) .

ان القراءة التفكيكية تختلف عن التفسير السياقي، والتحليل التأويلي، لأنه يخص القارئ على استقراء المدلولات، ويعطيه حرية اللعب الكامل بها، ويبيح له أن يفسرها كما يشاء، وإذا كانت البنيوية قد قالت بمشروعية (القراءات المتعددة) فإن التفكيكية تقول بمشروعية (القراءات اللا نهائية)، ذلك أن النص يحفل

(١) ينظر: شادية دروري: خفايا ما بعد الحداثة ودور الكسندر كوجيف فيها، تر: موسى الحالول، دار الحوار، سورية، ٢٠٠٦: ٢٨.

(٢) ينظر: محمد عزام: النص المفتوح التفكيك انموذجاً، مجلة الموقف الأدبي – مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق – العدد ٣٩٨ حزيران ٢٠٠٤: ١٦.

بالفجوات، وبمناطق الصمت التي ينبغي على القارئ أن يملأها، وهذا ما يجعل القارئ يقوم بمهمة كتابة النص ثانية [١]. وإنطاق الصوامت يعني قراءة (ما خلف السطور) أو استنباط المسكوت عنه في النص الأدبي.

هكذا تبدو القراءة التفكيكية حرّة حسب كل قارئ وخبرته الثقافية، واستنباطه من النصّ، وملئه لفراغاته،والنص –عند التفكيكيين– ليس سوى منطلق فحسب، إلى قراءات حرّة، ومن هنا قولهم: إن كل قراءة هي إساءة قراءة، لأن قراءة اتية ستفككها، لتصبح قراءة سيئة أمام اتيتها.

ينفتح النص بثيمة جدلية بين الراويين، يوسف ومها، اللذين سيتناوبان على الروي، فيوسف يتولى النصف الأول من الرواية، ومها تكمل الجزء المتبقي منها، والثيمة التي تعد بمثابة المفتاح الذي سننلج من خلال النص، وهي كثيرة ومتشعّبة ومُشْبعة بالحوار والجدل وطرح الأسئلة، أسئلة تتحول أحياناً إلى مونولوج داخلي، يظل يطرحه يوسف أو مها على نفسيهما في الأزمنة الصعبة والخطرة، أزمنة الوطن المشظى والمقهور عبر مئات الجهات التي تعمل ضده، في محاولة لإرجاعه إلى أزمنة ما قبل التاريخ، حقد أعمى هو الذي يسوّس البلاد، والسائس هو ابن البلد الصنيعة والدمية بيد القوى المتصارعة على تراب هذا الوطن الجريح.

إن ممارسة فعل التفكيك لنص ما، لا يقتصر على كشف المعاني والدلالات الخفية التي لم تحضر ببال صاحب النص أو محركه الأصلي فحسب، بل انه يولد نصا جديدا يتطلب بدوره تفكيكا آخر يمكن ان يدحض المعاني والدلالات المكتشفة ، مما يؤدي الى توليد نص جديد ينبغي تفكيكه هو الآخر، وذلك الى ما لا نهاية ،أي انه ليس حقيقة أبدية للنص ولا حتى قيمة سببية بما فيها التفكيك نفسه[٢]، إذ ينطلق (دريدا) في تحديد ماهية التفكيك من مسعاه لهدم الزعم القائم "بوجود معنى موحد له هوية متطابقة مع ذاتها"[٣]، ومن هنا جاء اعتراض التفكيك "على سلطة النص المطلقة ونفي إمكانية قراءته قراءة صحيحة أو وحدة للنص وأطلقت العنان للقراءات التي بدورها سببية وغير يقينية وقابلة للتفكيك اللاحق أيضا " [٤] ، فالتفكيك معرفة مشاعة يمكن ان يمارسها المتلقي بعيداً عن سلطة النص أو المؤلف المطلقة .

لذلك هيمن النص الدرامي على اغلب حوارات شخوصه هذا مما منح النص مديات تفكيكية مفتوحة ووسع المساحة الوجدانية والفكرية المتعرجة التي تتحرك بها الشخصية لتمتد في اللاحدود دون ضابط أو رقيب قامع، مما خلق فضاءً حوارياً تتعدد فيه الأصوات ،كما حمل الحوار افكاراً (فلسفية ــ جدلية) تستمد طاقتها من مكونات الاختلاف (المحو ــ الأثر) والحال ان مفردات لغته تميل إلى الانفتاح الدلالي عبر مقولات الهجنة والتشظي، فلا عجب من ان يمنح النص شخصية مثل المغنية أو المصور لغةً عالية الفرض من حيث دلالاتها ومعانيها .

المبحث الثاني

اولاً: استراتيجية التفكيك في النص الروائي :

١– الاختلاف: تعد مقولة الاختلاف إحدى المرتكزات الأساسية للمنهجية التفكيكية واستنادا لكشف الدلالة المعجمية التي تتألف من فعل أو مصدر يدل على عدم تشابه والمغايرة والاختلاف في الشكل والخاصة، وتعني التشتت والانتشار والتفرق والبعثرة والمغايرة في المكان والزمان، يقوم مصطلح الاختلاف على

---

(١) ينظر: م . ن : ١٧.

(٢) ينظر: نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ، ٢٠٠٣: ٢٢٦.

(٣) عبد الله إبراهيم: المطابقة والاختلاف ، بحث في نقد المركزيات الثقافية ،المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ٢٠٠٤ : ٦٣٩.

(٤) فاضل ثامر: من سلطة النص إلى سلطة القراءة ، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد (٤٨ ، ٤٩)، بيروت : ١٩٨٨: ٩١.

تعارض الدلالات بين الحضور والغياب، فـــدريدا يرى أنّ الخطاب الأدبي يكون تيارا غير متناه من الدلالات وتوالد المعاني لا تعرف الاستقرار والثبات فإنّها تبقى مؤجلة ضمن نظام الاختلاف، وهي محكومـــة بحركـــة حرة أفقية وعمودية دون توقع لنهاية محددة لها. (١)

تتشكل بنية الرواية (يا مريم) من عاملين متضادين قوامهما منطقان مختلفـــان لعـــائلتين مســـيحيتين تتحدران من أرومة واحدة، تشاء الأقدار أن تلتقيا في أزمنة الكراهية والعنف والحرب التي غيرت المنطـــق والمفاهيم وقلبت التقاليد العراقية الراسخة رأساً على عقب، ليسود الخراب والدمار والانقسام بـــين المجتمـــع العراقي، بفضل العملاء الجدد الذين نصبهم الاحتلال ليحكموا الأرض الأسطورية مهد الحضارات وصـــانعة الكلمات الأولى.

ان الاختلاف في الرواية يمنح معاني أخرى للظهور على الرغم من انها تلتزم أيضا بدورها للمحو على وفق ثنائية (الهدم /البناء) المتواصلة دون انقطاع في النص.

٢- التمركز حول العقل: يعنى به دريدا "التضافر لتأسيس بنية قوة في خارطة الفكر ويعتمـــد علـــى اقتحـــام سكونية الميتافيزيقا، وإعطاء الكلمة المنطوقة قيمة عالية بسبب حضور المتكلم والمستمع وقت صدور القول، فليس ثمة فاصل زماني أو مكاني، بينهما فالمتكلم يستمع في الوقت الذي يتكلم فيه، وهو ما يفعله المستمع في الوقت ذاته، إن سمة المباشرة في الفعل الكلام تعطي قوة خاصة في الفهم المباشر سواء تحقق كاملا أو غيـــر كامل، أمّا الكتابة فإنها تكتسب أهميتها من خلال التمركز حول العقل، حيث يصبح الكلام مستحيلا ولهذا يضع الكاتب أفكاره على الورقة، فاصلا إياها عن نفسه، ومحولا إياها إلي شيء قابل لأن يقرأ من شـــخص آخـــر بعيد، حتى بعد موت الكاتب، وكل هذا يفتح الآفاق لمزيد من الاحتمالات ومن هنا ينشأ الاختلاف الكبير بـــين الكلام والكتابة (٢).

وهذا مانجده في رواية (يا مريم) لا تبعث على الحزن والألم فحسب، بل تحرك عقل الإنسان للتفكير بما جرى ويجري بالعراق، بما واجهته وتواجهه تلك المجموعات البشرية التي هي من أصل أهل العراق من عواقـــب على أيدي الدخلاء الذين فتحوا العراق واستعمروه باسم الإسلام وأصبحوا هم أهل البلاد ويعملون بإصـــرار على طرد أهل البلاد الأصليين، إنها المأساة الحقيقية التي ينفذها الحكام وليس أبناء الشعب وبناته الأحرار من مسلمين سنة وشيعة.

في الوقت الذي بدت فيه الرواية تحاط بحالة من التشظي والضياع واللاهوية ، كانت تمنح المتلقـــي مديات تأويلية متعددة تدعم مقولات النص التفكيكية في تقويضها لسلطة العقل أو المركز التـــي احتفـــت بهـــا الدراما طويلاً،وعلى وفق هذه الرؤية فان النص ينأى عن كونه يقدم بطلاً تراجيدياً يعيش تحت وطأة الصراع بشكليه الداخلي مع الذات والخارجي مع الآخر أو ثنائية مثل ثنائية الخير والشر.

وأبرز الحقول المعرفية التي امتد إليها نقد دريدا حول التمركز المنطقي وهي في الحقيقة منظومـــة حقول معرفية متداخلة تصدى لها بمنهجية التفكيكية في القراءة لكشف مظاهر التمركز المنطقي فيها وهي:

أ. الأولية الابستمولوجية: ولقد عدّ العقل والإدراك مركزا للحضور وحقيقة الأمر أنهما ليسا إلاانتاجـــاً لوحـــدة العقل والحقيقة فالوعي يحضر حالا من تلقاء نفسه.

---

(١) س . رافيندران ، البنيوية والتفكيك ، ط١ ، تر: خالدة حامد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢: ١٥١.

(٢) عبد الله إبراهيم، وآخرون : معرفة الآخر مدخل إلى المنهاج النقدية الحديثة ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٦: ١٢٥.

ب. الأولية التاريخية: تتحقق انطلاقا من الماضي صوب المستقبل في ثلاث حالات التمظهر تعالي الأشكال – مقولات الخالق.

ج. الأولية الجنسية: تتحقق بواسطة حضور الذكورية المتمثلة في سلطة الرجل، والغياب عند المرأة .

د. الأولية الوجودية: أهم الحقول المنهجية لدى دريدا لما يمثله الوجود من حضور ذاتي صاف مقابل الغياب العدم.

ه. التأويل الأدبي: تتجه إلى التعدد القرائي الناتج عن التأويل، والسعي إلى التعدد اللانهائي للمعنى .

٣- الكتابة: التأسيس إلى تحديث الفكر بقلب التدرج التقليدي من أفضلية الكلام على الكتابة مع إمكانية تصوير الكلام على أنه مشتق من الكتابة .

وهذا ما جسده الكاتب (سنان انطون) عبر ذاكرة الشخصية الرئيسة يوسف كوركيس أحداثاً ومنعطفات عامة، منها احتلال العراق للكويت عام ١٩٩٠ وما أعقبه من تداعيات خطيرة على المجتمع العراقي تركت اثرها العميق في اجزاء مهمة من جنوب وشمال البلاد التي شهدت انتفاضة شعبية تم قمعها بقسوة ووحشية، ثم تلى ذلك حصاراً دولياً ظالماً فتتَ نسيج المجتمع العراقي بسبب الجوع والامراض التي فتكت به، فكان هذا الاستدعاء لأزمنة من الماضي القريب ما هو إلاّ إلتماساً لجأ إليه المؤلف، بحثا عن إجابات آتية من الماضي لكن الزمن هنا مضاعفا زمن الكتابة وزمن الذاكرة.كما يقول رولان بارت في كتابه (النقد البنيوي للحكاية) .

٤- القراءة: يرى دريدا أن النّص ليس ساحة تباينات، ومجال للتوتر والتعارض وحيز للتبعثر والتشتت وذلك حيث يولد دوماً عن القراءة تفكك البنى وانفجار المعنى وتشظي الهوية [١].

ولعل ما يحقق القراءة التفكيكية للنص في رواية (يا مريم) هو تبني حواراته لـ (فترات الصمت) ، فالشخصيات تتوقف بين الحين والآخر لكي تبحث عن المعاني المنسية أو المراوغة عبر افعالها واقوالها، فهي عزمت ان تتأمل الأماكن النائية في قعر الذات وسطحه على حدٍ سواء، من اجل استدعاء معنى المعنى، ولعل ما شجع الشخصيات على هذا الفعل هو سعيها إلى إبطال نظام السببية السيكولوجي القائم فيما بينها ، وبهذا الوصف يمكن عدها وحدات (بنائية / هدميه) تتناوب في متن النص لإثرائه معرفياً

٥- الحضور والغياب: اكتسبت ثنائية (الحضور والغياب) أهمية استثنائية في مقولات التفكيك ، إذ تنهض هذه الثنائية بوصفها نتيجة من نتائج الاختلاف ومظهراً له، ومن اجل تفعيل (الحضور) لابد ان تمتلك خصائص النقيض، وهي مقولة (الغياب) وبذلك يتم التعامل مع فكرة الحضور على إنها مظهر من مظاهر الغياب والاختلاف لا على إنها شكل من أشكال الوجود المطلق[٢].

كما سعت حوارية النص بين (يوسف) و(مها) إلى إبراز تنامي جملة من الاختلافات المرجأة من خلال مفردات (الحرب، السلام ، الخوف، الامان، الحب، الكره، الموت، الحياة ...) والتي تبنتها متغيرية المكان بين ثنائية الهنا(الحرب) وألهناك (السلام) المقترنة بـ (الحضور/ الغياب) وسط أجواء الانفجار والموت والقتل حتى تفرع المكان الضيق إلى أمكنه اخرى متشظيه بالحكي والمغامرة والممارسة الحياتية وحكايات المدن، هذا مما جعل الأحداث لا تعتمد تسلسلاً زمنياً متتابعاً بل اعتمدت التداخل والتقاطع.

ثانياً: ماهية التفكيك في النص الروائي: يصف (دريدا) ماهية تفكيك النص بأنها قبل كل شيء دلالة حب واحترام وذلك من خلال الخطة التي يتبعها لتفكيك نص ما فهو يسعى في البداية الى التوجه نحو الآخر

---

(١)عبد الله إبراهيم، وآخرون : معرفة الآخر مدخل إلى المنهاج النقدية الحديثة، المصدر السابق: ١٢٨-١٣٠.

(٢) ينظر: ناصر حلاوي : وآخرون ، ملف دريدا والتفكيك ، مجلة الطليعة الأدبية ، عدد (٥،٦) ، بغداد : ١٩٩٠: ٥٨.

واستكشافه وفهمه ومن ثم السؤال عما يصنع تفرد النص وسلامة النص والإنسان أو الأمة التي يدرسها. فهو يقول في هذا الخصوص بأنه " لا يعني الهدم ، وهو ليس مسعى سلبيا، بل هو تحليل جينالوجي لبنية متشكلة تريد نزع طبقتها المترسبة"(١) .

والحق ان (دريدا) أعار انتباها خاصا لماهية التفكيك وفعلها في النص ويتجسد هذا الانتباه في رصد التناقضات أو الحقائق المتناثرة التي يزخر بها النص إذ أن " خطاب التفكيك يمارس إعادة تركيب على نحو مضاعف ، نحوي ودلالي ومفهومي ، أي من حيث ترتيب الكلام أو اجتراح الدلالة أو بناء الحقل والمفهوم أو صياغة المنهج أو الطريقة... " (٢) .

إذ كثف النص الروائي في رواية (يا مريم) من الاهتمام بتقنية البوح الذاتي في حوار شخوصهِ، وهو ما صعد الإحساس بضرورة التخلي عن ترسيمات الحدود والفواصل القائمة لماهية كل عنصر وتقويضها بما في ذلك وحدتي المكان والزمان. وهو ما شكل عاملاً رئيساً في إحداث حالة الغموض أو عدم الوضوح في تحديد وحدة البناء العضوي للنص وعلى وفق ذلك يتحرر النص من ذات مؤلفه ليتجه نحو ذوات النص المتعددة ،حتى تصبح فيها كل ذات منتج لغوي يتبنى افراز اللعب الحر للمدلولات.

الخاتمة :

١. التفكيك بمعنى ما يقوم على رفض المتعاليات التي يرى أنها تحجب المعنى وتكبتهُ ، فهو يعمل على تفكيك نصوصٍ لكي ينتج أخرى .

٢. عندما تمارس القراءة التفكيكية عملها فإنها تسعى إلى استعادة ما أسقط من النصّ، من هنا مارس التفكيك صفة في إعادة كتابة وتقييم نتاج الفلسفة القديمة وعمل على سد ثغراته ونواقصهِ .

٣. يعد الاختلاف في روية (يا مريم) جوهراً مهماً للمعرفة لدى دريدا فهو يحتوي على عملية إرجاء بلا استقرار لأنها تكون مؤجلة دائماً من خلال عملية التعبير .

٤. يميل دريدا إلى اعتبار الإبداع الحد المتواصل والانتهاك للقيم الثابتة والتقليدية وهذا نجده نفسه في رواية (يا مريم) .

٥. تعمل القراءة التفكيكية، على بلورة أفق فكري وبنائي جديد، ينسجم مع فلسفة التفكيك وطروحات (جاك دريدا) في تحليله للبنى المعرفية والثقافية والادبية وانعكاس ذلك على طبيعة الرفض القطعي للأنساق التقليدية السائدة في الادب .

٦. يقترن المنهج التفكيكي بإشغال الثنائيات المركبة مثل (الحضور– الغياب) ، (المشافهة – الكتابة)، (العقل– العاطفة)، (المعنى – اللامعنى)، فضلاً عن اهتمامها بمفاهيم الإضافة، الانتشار أو التشتيت، الأثر، والاختلاف

٧. يكون التعقيد والغموض في رواية (يا مريم)، طابعاً مميزاً للتفكيكية، والتي تستند على ضرورة الإحساس بالتجددّ، وضمّ المتناقضات، وإثارة الشك والتحرر من قوى الجاذبية النص .

٨. عمدت القراءة التفكيكية الى زحزحة الانساق التقليدية في النصوص الادبية السابقة لها، والانفتاح على طبيعة التغييرات الادبية والثقافية التي جاءت بها الطروحات المعاصرة .

---

(١) ميشل فوكو– جاك دريدا ، حوارات ونصوص ، تر: محمد ميلاد ، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ٢٠٠٦: ١٥٦–١٥٧.

(٢) علي حرب ، هكذا اقرأ ما بعد التفكيك ، المصدر السابق: ٢٦.

٩. تقترح القراءة التفكيكية صياغات استعارية (عندما تذكر يوسف صوره في الماضي) تنبثق من تأويل الأفكار اللاعقلانية، والشك في قدرة العقل على إظهار فاعلية الذات، لذلك فقد أطلقت التفكيكية العنان لمخيلة الكاتب الروائي في استحضار صور تبتعد عن الحي وتقترب من المتخيل .

المصادر

ابن منظور، لسان العرب، المجلد العاشر، دار صادر، بيروت، ب.ت .

جميل صليبا:المعجم الفلسفي ، ج١ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان : ١٩٨٢ .

عبد الله إبراهيم: التفكيك الأصول والمقولات، ط١، الناشر عيون المقالات ، مطبعة النجاح الجديدة ، باندوغ ، الدار البيضاء :١٩٩٠.

الرويلي والبازغي ، دليل الناقد الأدبي ، ط٣ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب : ٢٠٠٢ .

سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، ط١، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان،١٩٨٥.

محمد عناني: معجم المصطلحات الأدبية الحديثة، ط١ ، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان : ١٩٩٦ .

عادل عبد الله: التفكيكية إرادة الاختلاف وسلطة العقل، ط١،دار الحصاد للنشر والتوزيع والطباعة ، سورية ، دمشق : ٢٠٠٠.

عبد العزيز حمودة: المرآيا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ، الكويت ، ١٩٩٨.

علي حرب: الماهية والعلاقة نحو منطق تحويلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ١٩٩٨.

رضوان جودت زيادة: صدى الحداثة ومابعد الحداثة في زمنها القادم ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠٠٣.

أمينة غصن: جاك دريدا في العقل والكتابة والختان، دار المدى للثقافة والنشر، سورية ، ٢٠٠٢ .

بسام قطوس : المداخل الى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٦.

يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار القلم، بيروت، ب ت.

مصطفى عبده: مدخل إلى فلسفة الجمال، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٩٩.

برتران سان– سرنان: العقل في القرن العشرين، تر: فاطمة الجيوشي ، وزارة الثقافة، دمشق ، ٢٠٠٠.

جاك دريدا: الكتابة والاختلاف، تر: كاظم جهاد، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٨٨.

أمنية غصن: جاك دريدا، في العقل والكتابة والختان، دار المدى، دمشق ، ٢٠٠٢.

باسم على خريسان: ما بعد الحداثة دارسة المشروع الثقافي، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٦.

شادية دروري: خفايا ما بعد الحداثة ودور الكسندر كوجيف فيها، تر:موسى الحالول، دار الحوار، سورية، ٢٠٠٦.

محمد عزام: النص المفتوح التفكيك انموذجاً، مجلة الموقف الأدبي – مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق – العدد ٣٩٨ حزيران ٢٠٠٤.

نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ، ٢٠٠٣.

عبد الله إبراهيم: المطابقة والاختلاف ، بحث في نقد المركزيات الثقافية ،المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ٢٠٠٤.

فاضل ثامر: من سلطة النص إلى سلطة القراءة ، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد (٤٨ ، ٤٩)، بيروت : ١٩٨٨.

س . رافيندران ، البنيوية والتفكيك، ط١ ، تر: خالدة حامد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢.

عبد الله إبراهيم، وآخرون : معرفة الآخر مدخل إلى المنهاج النقدية الحديثة ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٦.

ناصر حلاوي : وآخرون ، ملف دريدا والتفكيك ، مجلة الطليعة الأدبية ، عدد (٥،٦)، بغداد : ١٩٩٠.

ميشل فوكو- جاك دريدا ، حوارات ونصوص ، تر: محمد ميلاد ، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ٢٠٠٦.